



لم ينحصر تأثير القرآن الكريم باعتباره كتاباً دينياً، على الجانب الديني وحسب، بل امتد ليؤثر في جوانب أخرى، يهمنها جانب الأدب، بما فتح لشعراء العربية عبر العصور، من آفاق جديدة لم يعهدوها من قبل، غير أن هذا التأثير لم ينحصر على العرب والمسلمين وحدهم في آدابهم، خاصة تلك المكتوبة بلغات الإسلام الكبرى (العربية، والفارسية، والتركية)، بل تخطاه، ليؤثر في غير المسلمين من مجتمعات مختلفة الثقافة واللغة، وفيما يأتي لمحة سريعة حول التأثير القرآني في الشعر الأوربي.

التأثير القرآني في الشعر الأوربي

تتبع الأمتة التي سبقتها، إلى شعراء اللغات الأوربية في القرن التاسع عشر، لكونه قرناً اتجه فيه الأوروبيون إلى الشرق، وقد اتخذ تأثرهم بالقرآن عدة مظاهر تمثل لها بما يأتي:

«التأثر بالقصص القرآني»

وذلك عبر استحضار قصص العديد من الأنبياء، التي وردت تفاصيل لها في القرآن، لم ترد في كتاب غيره، علاوة على قصص أخرى تفرد بها القرآن وحده، مثل حضور القصص القرآني لدى «ريكله» (١٨٧٥-١٩٢٧م)، الذي أنشأ قصيدة بعنوان (رسالة محمد) يقول^(١):



عبد الله القسراوي - المغرب

تدل على مكان يقع بين الجنة والنار، يضم أناسا نجوا من النار، إلا أنهم لا يستحقون الجنة. و«الأعراف» عنوان لسورة طويلة في القرآن الكريم كذلك.

- التأثير بالأوصاف والصور القرآنية:

فقد استمد العديد من شعراء اللغات الأوروبية، صورا وأوصافا قرآنية، لم ترد في كتاب غيره، مثل التصوير القرآني لعالم ما بعد الموت (مشاهد القيامة)، من ذكر أوصاف الجنة والنار، وهو ما استثمره غوته (١٧٤٩-١٨٣٢م) في الديوان الشرقي، ونمثل لذلك بما أنشأ من شعر حول الحور العين، يقول (٧):

محمد يتكلم....

ثم يهب نسيم عليل من المشرق،

فيأتي إلى هنا بكوكبة بنات السماء،

فتبدأ تستمتع بناظريك،

والرؤية وحدها تبعث فينا تمام الرضا...

فيقتدلك إلى خمائل وجواسق،

فيها آلاف من الأعمدة الحجرية الوضاعة المتعددة،

ويدعئك إلى شرب العصير النبيل للأعصاب

الماجدة،

ويقرئين الكؤوس من شفتيك برشاقة ولطف.

والواضح أن غوته قد اطلع على الآيات التي تصف

الحوريات في الجنة، كقوله تعالى:

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ۖ ﴾ (٣٢)

(الواقعة).

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ۖ فَمَجَّلْنَهُنَّ أَزْوَاجًا ۖ ﴾ (٣٦)

عُرْيَا تَرَابًا (الواقعة).



ريكله



برناردشو

لما تبدى الملك الكريم الطاهر،
ذو الملامح المعروفة والنور الباهر،
تبدى له رائعا في خلوته،
خلع كل كبرياء وخيلاء،
وتوسل إلى «التاجر»
وقد اضطرب باطنه إثر أسفاره،
توسل إليه أن يبقى،
لم يكن قارئاً،
وها هي ذي «كلمة»
كلمة عظيمة حتى على حكيم،
لكن الملك وجهه بمهارة إلى ما
كان مسطوراً في لوح،
ولم يباس،
بل ظل يردد دائماً: اقرأ!
فقرأ، حتى انحنى الملك،
وأصبح ممن يعرفون كيف
يقرؤون،

ويستمعون ويتمون.

فالقصيدة تحكي عن اللقاء بين الملك جبريل عليه السلام، والنبى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وردت تفاصيل منه في أول سورة العلق:

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ (٥) ﴾ (العلق).

<< التأثير بالرموز القرآنية:

وذلك بأن نجد شاعرا يوظف رموزا قرآنية (إسلامية)، نمثل لذلك ببرناردشو (١٨٠٩-١٨٤٩م)، الذي عنون أحد دواوينه، بما يأتي: (الأعراف وتامرلين ومقطوعات أخرى) (١٨٣٠م). فكلمة «الأعراف» في العنوان، هي كلمة قرآنية،



يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (الزلزلة).

والملاحظ أن الديوان الشرقي لغوته جمع المظاهر
المذكورة سابقا، حيث نجد حضورا للقصص
القرآني، كحضور قصة أهل الكهف^(٤)، التي رجع
فيها غوته إلى سورة الكهف، كما اعتمد على الوصف
القرآني للجنة، في قصائده عن نعيم

الجنة كما مثلنا سابقا، ونجد كذلك
محاكاة مباشرة لمعاني العديد من
الآيات، نمثل لذلك بمحاكاته لمعنى
الآية الآتية من سورة البقرة: ﴿وَلِلَّهِ
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥)
(البقرة). يقول غوته^(٥):

لله المشرق،

لله المغرب،

والشمال والجنوب،

يستظللان بالسلام بين يديه.

يبدو أن محاكاة الآداب الشرقية
قد راجت لدى الألمان في النصف
الأول من القرن التاسع عشر، فغوته
يعنون إحدى قصائد ديوانه الشرقي
بـ «محاكاة»، يشير فيها إلى أن محاكاته
لشعر حافظ، هي محاكاة حرة ألمانية، تلتبس الروح
الشرقية دون التقيد بالشكل الخارجي، يقول غوته
مخاطبا حافظا^(٦):

رجائي أن أشارك في مذهبك الشعري؛

إن في التكرار لنفسي لذة وانتشاء،

سأكون أولا معنى، وسرعان ما أجد اللفظ،

وللمرة الثانية لا أريد لرنين أن يتجاوب،

﴿فَهِنَّ قَصِرَتْ الظُّرُفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْشُ قَبْلَهُمْ وَلَا
جَانٌ﴾ (٥٦) ﴿فَأَيُّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكْذِبَانِ﴾ (٥٧) ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْمَرْجَانُ﴾ (٥٨) ﴿(الرحمن).

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٧٢) ﴿فَأَيُّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ
تُكْذِبَانِ﴾ (٧٣) ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْشُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ (٧٤) ﴿(الرحمن).

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِرَتْ الظُّرُفُ عَيْنٌ﴾ (٤٨) ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
مَكُونٌ﴾ (٤٩) ﴿(الصافات).



غوته



هيجو

المحاكاة المباشرة:

فنجد الشاعر، يحاكي الآيات
كما هي، مع الحفاظ على التراكيب
نفسها، نمثل لذلك بمقطوعة
شعرية لفيلكتور هيجو (١٨٠٢-
١٨٨٥م)، من ديوانه «أسطورة
القرون»^(٣)، يقول:

سَتَرْجُ الأَرْضُ رَجَا شَدِيدًا

وَسَيَقُولُ النَّاسُ: مَا الْخَطْبُ؟ أَأَنْتَ

تَخْرُجُ جَحَافِلَ مِنَ النَّاسِ مِنَ الظِّلِّ،

وَمِنْ قَلْبِ الأَرْضِ عُرْيَانًا،

يَأْتِي الأَمْوَاتُ لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ،

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا الشَّرَّ وَلَوْ

بِمِثْقَالِ النَّمْلَةِ سَيَرَوْهُ،

وَلَنْ يَكُونَ اللَّهُ لَهُمْ حَلِيفًا،

وَأُولَئِكَ الَّذِينَ فَعَلُوا الْخَيْرَ وَلَوْ بِمِثْقَالِ الذَّبَابَةِ

سَيَرَوْهُ،

وَلَنْ يُؤْذِيَهُمُ الشَّيْطَانُ.

فالمقطوعة الشعرية عبارة عن إعادة إنتاج لمعاني

سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١)

وَأَخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا﴾ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ (٣)

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (٥)